الفصل الثانى

سنجر سلطانا أعظم للدولة السلجوقية

[٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٨م]

(أ) انتصاره على محمود ابن أخيه محمد ثم انابته له سلطانا للسلاجقة فى العراق .

(ب) بسط نفوذ سنجر على بقية أقاليم الدولة السلجوقية وتنصيبه سلطانا .

(ج) تدخل السلطان سنجر فى النزاعات بين السلاطين السلاجقة فى العراق ثم بينهم وبين الخلفاء العباسيين .

obeikandl.com

(أ) انتصاره على محمود ابن أخيه محمد ثم انابته له سلطانا للسلاجقة فى العراق .

obeikandl.com

توفى السلطان محمد بن ملكشاه فى عام ٥١١هـ/١١١٧م ، وبعد وفاته بدأت المنازعات من جديد حول عرش السلطنة مما أحدث انقساما كبيرا بين السلاجقة . ويرجع السبب فى هذه المنازعات الى أن السلطان محمد قبيل وفاته أمر باسناد السلطنة الى ابنه محمود(١)، الذى ارتقى عرش السلطنة بعد وفاة أبيه ، وكان حينئذ فى الرابعة عشرة من عمره .

ووافق الخليفة العباسى المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م)(٢) على اقامة الخطبة للسلطان محمود ببغداد فى يوم الجمعة الموافق الثالث والعشرين من محرم سنة ٥١٢هـ/١١١٨م .

ولكن عمه سنجر ـ ملك خراسان وماوراء النهر آنذاك ـ رفض أن يكون تابعا لابن أخيه محمد ، لأنه يعتبر نفسه أحق منه بالسلطنة بعد وفاة

---

(١) السلطان محمود بن محمد : هو أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى ، الملقب بغيث الدين ، تولى السلطنة وهو صغير فى سن الحلم ، وقد اشتهر بالحلم والكرم ورجاحة العقل والتسامح ، لايطمع فى أموال الرعايا ، عارفا باللغة العربية ، ملما بالأدب والتاريخ ، يميل الى أهل العلم ، وقد استمرت سلطنته اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما ، وتوفى على أثر مرضه سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م ، وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة .

انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٣٣،٣٣٤ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص١٨٢-١٨٣ .

(٢) المستظهر بالله : هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن القائم أبو العباس ، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، يقال أنه كريم الخلق وحسن السيرة ، يحب فعل الخير ، ويثق بمن يوليه ، ويميل الى حب الأدب والشعر ، وقد ألف له الغزالى كتابه "المستظهرى" فى فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية ، ونشر قسم منه أما حياته السياسية فكانت مضطربة كثيرة الحروب حيث استولى الفرنج سنة ٤٩٢هـ/١٠٨٨م على بيت المقدس وقتلوا أهله بالمسجد الأقصى ، وكان ذلك أثناء خلافته التى استمرت أربعة وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما ، ومات سنة ٥١٢هـ/١١١٨م ببغداد ودفن فى حجرة كان يألفها .

انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٨١ ـ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ص٤٢٦ ـ الزركلى : الأعلام ، ج١ ، ص١٥٨ ـ زامبارو : معجم الأنساب ، ص٤ .

أخيه محمد ، فأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة وغير لقبه من ناصر الدين الى لقب معز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه(١)، وأدى ذلك الى انقسام الدولة السلجوقية . وقد تمثل هذا الانقسام فى سلاجقة الشرق أو سلاجقة خراسان وسلطانهم سنجر بن ملكشاه ، وسلاجقة الغرب أو سلاجقة العراق وسلطانهم محمود بن محمد بن ملكشاه ، وأخذ كل من المعسكرين يكيد للآخر(٢).

وقد ذكر سبط ابن الجوزى (٣)أنه فى عام ٥١٢هـ/١١١٨م خرجت والدة(٤)السلطان محمود بن محمد من أصفهان وتوجهت الى بلخ لمقابلة السلطان سنجر حيث طلبت منه نجدة ابن أخيه وأن لايتأخر فى ذلك والا سوف يلحق الهلاك والتلف للبلاد ونبهته من وزراء ابنها فى استغلال صغر سنه وقيامهم بنهب الأموال والسيطرة على الملك .

وكان وزير السلطان محمود كمال الملك أبو الحسن على بن أحمد السميرمى (٥)وكان مدبر أمره حاجبه على بن بار بن عمر (٦)، وكاتبه

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٢٨٦ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٩ ، ص١٩٦ ـ البستانى : دائرة المعارف ، ج٩ ، ص٧١٩ عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص١٠٩ ـ حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص٦١٠،٦١١ ـ أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٥٣،٥٤ .

(٣) مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٦٥٦ .

(٤) اسمها : جوهر خاتون زوجة السلطان محمد بن ملكشاه .
انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٧٩ .

(٥) كمال الدين السميرمى : هو على بن أحمد السميرمى من مدينة يقال لها سميرم ، قرب أصفهان أهلها أذكياء ، عمل نائبا للوزير ثم وزر لزوجه السلطان محمد ـ جوهر خاتون ـ وقد قامت باقناع السلطان فى جعله المشرف على دولته ، فدانت له الأمم ثم سجنه السلطان .
انظر الحسينى : نفس المصدر والصفحة ـ البندارى : دولة آل سلجوق ، ص١٠٦ .

(٦) على بن بار بن عمر : كان صاحب السلطان محمد ، ثم صار حاجب السلطان محمود ، وقد كبرت منزلته ، وصار أكبر أمير عند السلطان محمود ، وكسب ود العساكر فانقادت له فحسده الأمراء على ذلك وقاموا بافساد حاله مع السلطان =

أبو القاسم الدركزينى(١). وقد كان لهم دور كبير فى اغراء السلطان محمود بعمه السلطان سنجر مما أدى الى حدوث القتال بينهما .

وقد بدأ السلطان محمود بمحاولة التقرب لعمه سنجر فأرسل اليه الهدايا والتحف ووعده أن يحمل اليه مائتى ألف دينارا كل سنة . وفى نفس الوقت بناء على مشورة وزرائه أرسل السلطان محمود الى والى سمرقند يخبره بأنه عزم على قتال عمه سنجر وطلب أن يفاجىء عمه سنجر بجيوشه من

= محمود ، وأشاروا عليه بقتله ، فلماعلم بذلك هرب الى قلعة برجين وكان بها أهله وماله وجمع مائتى فارس وتوجه بهم الى خوزستان حيث طلب من حاكمها عهدا بحمايته ، وعندما وصل اليه منعوه من قصدهم فحدث قتال بينهم ، فانهزم هو وأصحابه وأسروه ، فبعثوا الى السلطان محمود يخبرونه بذلك فأمرهم بقتله وحمل رأسه اليه وكان ذلك سنة ٥١٣هـ/١١١٩م .
انظب ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٢٨٩ .

(١) أبو القاسم الدركزينى : أبو القاسم ناصر بن على الانسلباذى الدركزينى ، عمل فى البداية كاتبا لحاجب السلطان محمود (على بن بار) ، وعندما تولى وزارة السلطان محمود سنة ٥١٣هـ ظهر منه الظلم وسوء التدبير للرعية ، واستباح سفك الدماء ، وشرع المنكرات وأنكر المشروعات ، وشرع فى الفتك بالأحرار ، وهتك الأستار ومنهم القاضى زيد الاسلام أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى المعروف بحبر العالم وبحر العلم والحاكم بالعدل والعادل فى الحكم . ورغم أفعال الدركزينى السيئة الا أنه استمر فى الوزارة حتى سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م حيث قبض عليه السلطان محمود فى رجب من هذه السنة لاتهامه بمالأة الخليفة المسترشد بالله وعين بدلا منه شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن خالد وظل فى الوزارة نحو عشرة أشهر ثم عزل نفسه وعاد الى بغداد . أما الوزير أبو القاسم فانه استمر مقبوضا عليه الى أن خرج السلطان سنجر الى الرى سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م فأخرجه من الحبس فى ذى الحجة واعادة الى وزارة السلطان محمود وتعتبر الوزارة الثانية له ، وظل بها حتى توفى السلطان محمود بن محمد سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م ثم تولى وزا ة السلطان طغرل بن محمد ، وظل وزيرا له حتى أمر السلطان بقتله فى الطريق أثناء قصده الرى .
انظر البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٣٥-١٣٩ ـ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٧٨-١٧٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٣، ٣٤٠ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٦٥٦ ـ زامباور : معجم الأنساب ، ص٣٣٩ ـ وورد عند ابن خلدون باسم على الناصر . انظر العبر ، ج٥ ، ص٥٥ .

الخلف فى الوقت الذى يتقدم فيه جيوش السلطان محمود لمحاربته ، ومن ثم ينحصر عمه سنجر بين فكين ولايستطيع أن يقاوم هذا الحصار . ولما علم سنجر بما دبره ابن أخيه له ، عزم على قصد بلاد الجبل والعراق والاستيلاء على البلاد الخاضعة للسلطان محمود نظرا لصغر سنه وتحكم وزيره وحاجبه على الحكم .

وتحرك سنجر من خراسان قاصدا بلاد الرى وأرسل فى مقدمة جيشه الأمير أنر ، وكان فى مقدمة جيش السلطان محمود حاجبه على بن عمر . وقبل أن يلتقى الجيشان أرسل السلطان محمود حاجبه على بن عمر الى سنجر يذكره بوصية السلطان محمد لابنه محمود بتعظيم شأن عمه سنجر وتنفيذ أمره على أن يحافظ سنجر على السلطنة لولده محمود ، ولكن هذه المحاولة التى قام بها السلطان محمود لم تمنع القتال بينه وبين عمه سنجر ، والتقى الجيشان بالقرب من ساوه(١) فى الثانى من جمادى الأولى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م ، وكان جيش السلطان محمود حوالى ثلاثين ألفا وجيش سنجر حوالى عشرين ألفا .

وقد استهان جنود السلطان محمود بجنود عمه سنجر نظرا لكثرتهم وكثرة خيلهم ، وفى البداية حلت الهزيمة بميمنة وميسرة جيش سنجر ، واضطربت أحوال الجند ، أماسنجر فظل فى القلب وأصر على استمرار القتال ولاسبيل فى ذلك الا النصر أو القتل ، وأطلق مامعه من فيله فتراجعت خيل السلطان محمود وانقلبت على أعقابها فأصاب الفزع السلطان محمود فأشفق عليه سنجر من اطلاق الفيله نحو جيشه ، وبذلك حلت الهزيمة بالسلطان محمود وجيشه ، مما ترتب على ذلك قطع الخطبة للسلطان محمود واقامة الخطبة للسلطان سنجر بعد أن اعترف به الخليفة العباسى المسترشد بالله سلطانا أعظم للسلاجقة فى ٢٦ جمادى الأولى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م .

---

(١) ساوه : قرية فى الطريق بين همذان والرى بينهما اثنان وعشرون فرسخا .
محمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ، ص٢٩٧ .

وسار السلطان محمود بعد هزيمته الى أصفهان بينما سار سنجر الى همذان(١). وأرسل محمود الى عمه سنجر يطلب منه الصفح والمعذرة عما بدر منه ، معللا بأن ماصدر عنه ناشيء عن طيش الطفولة ، فاستدعاه السلطان سنجر بناءا على طلب والدته (جدة السلطان محمود بن محمد) وصفح عنه وسامحه عما بدر منه ، وعامله معاملة حسنة ، كما شفع السلطان محمود بن محمد لكل من على بار وكمال السميرمي ، وأبي القاسم الدركزيني عند السلطان سنجر فقبل شفاعته لهم واستقر الرأى على أن يبقى محمود بن محمد شهرا بخدمة عمه السلطان سنجر بالرى ، وألا يدق له البوق(٢) في حالة ركوبه أو نزوله ، وأن يسير مترجلا فى ركاب عمه ، وأن يترك كل مايتعلق

---

(١) الأصفهانى : البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، مخطوط ، بمكتبة أحمد الثالث بتركيا تحت رقم ٢٩٥٩ ، مصور ميكروفيلم فى مركز البحث العلمي ، بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، تحت رقم ١٠٢٨ تاريخ ، ورقة ٩٧ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٢٨٦-٢٨٨ - ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص٤٥،٤٧،٤٨ - الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٧٨-١٨٠ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج٤ ، ص٤٧،٤٨ .

(٢) البوق : هى أداة مجوفة ينفخ فيها ويزمر .
انظر المعجم الوسيط ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ج١ ، ص٧٧ .
وهى أصلا من شعائر الخلافة وقد ذكرها آدم متز بقوله : "وكان من علامات سيادة الخليفة ببغداد أن يضرب على باب داره الطبول والدبادب والأبواق فى أوقات الصلوات الخمسة ، وكان لايوقف ذلك الا أيام العزاء بدار الخلافة . وقد حاول الخليفة أن يحافظ على هذه المزية ويحول دون اتخاذ الاجراء لها ولكن ذلك لم يدم ، ففى عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م أمر الخليفة بأن يضرب الدبادب على باب عضد الدولة فى أوقات الصلوات الثلاثة : الظهر والمغرب والعشاء ، وفى عام ٤٠٨هـ/١٠٢٧م أذن الخليفة بعد اباء لجلال الدولة بأن يضرب الطبل أمام داره فى الصلوات الخمس ، وفى سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م ضرب الطبل أمام دار الأمير خمسا ، كما هو الحال بالنسبة للخليفة تماما" .
انظر الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، عصر النهضة فى الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، دار الكمال العربى ، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ج١ ، ص٢٥٧-٢٥٨ .

بشعائر السلطنة ورسومها(٣).

وأطاع محمود عمه السلطان سنجر ونفذ ماستقر عليه الرأى بينهما ، فقرر السلطان سنجر اختياره وليا لعهده ونائبا عنه فى العراق سنة ٥١٣هـ/١١١٩م . وسمح السلطان سنجر له بأن يلقب بلقب سلطان ، وبذلك يعتبر أول من جلس على عرش سلطنة السلاجقة بالعراق هو السلطان محمود ابن محمد . وأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية خاضعا وتابعا لسلطنة السلطان الأعظم سنجر فى خراسان ، بمعنى أن سلطنة العراق فى عهد السلطان سنجر لاتكون الا لمن ارتضاه وأقره سنجر .

وكان سلاطين العراق يخضعون للسلطان سنجر ويذكرون اسمه فى الخطبة قبل أسمائهم ، وقد اعترف الخليفة العباسى المسترشد بالله بمحمود بن محمد سلطانا على سلاجقة العراق رغم صغر سنه(٢).

وفى سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م خطب للسلطان سنجر وابن أخيه السلطان محمود معا(٣).

وبذلك أصبح هناك سلطانان فى آن واحد الا أن محمود كان يحكم بأمر من السلطان سنجر ومن ثم فهو خاضع له خضوعا كاملا فى جميع أمور السلطنة . وقد أعاد السلطان سنجر لابن أخيه محمود بن محمد جميع البلاد التى كانت تحت سلطانه وحوزته ماعدا الرى التى كان يراقب منها السلطان سنجر أعمال محمود خشية أن يخرج عليه ويعصيه مرة أخرى .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص٢٥٩، ٣٠١ ـ محمد الخضرى بك : محاضرات فى تاريخ الأمم ، ص٤٤٧، ٤٤٨ .

(٢) محمود بن محمد اقسرائى : تاريخ سلاجقة مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار ، تصحيح عثمان توران ، ص٢٢٠ ـ عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، ص٩٦، ٩٧ ـ فاضل الخالدى : الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق ، ص٢٠٦ ـ حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص٦١١ ـ أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٦٩ .

(٣) الذهبى : دول الاسلام ، ج٢ ، ص٤١ .

وفى واقع الأمر فان سلطان محمود الفعلى كان قاصرا على العراقين العربى والعجمى ، وظل يحكم أربعة عشر عاما حاملا لقب سلطان ، حتى توفى فى شوال سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م(١).

(١) حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص٦١٧ - أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٥٥،٧٠ .

obeikandl.com

(ب) بسط نفوذ سنجر على بقية أقاليم الدولة السلجوقية وتنصيبه سلطانا .

obeikandl.com

استطاع سنجر - قبل أن يتولى عرش السلطنة السلجوقية - أن يقوم بعدة فتوحات فبسط نفوذه وسلطانه على بلاد كثيرة ، فتمكن من فتح ترمذ وطخارستان فى عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م ، وضمهما الى سيطرته ونفوذه ، كما استطاع أن يبسط نفوذه على اقليم ماوراء النهر عام ٤٩٥هـ/١١٠١م ، واستطاع أيضا أن يفتح غزنة فى عام ٥١٠هـ/١١١٧م ويخضعها لسيطرته(١).

وبعد أن انتصر على محمود ابن أخيه - كما سبق أن ذكرت - أرسل الى الخليفة العباسى المسترشد بالله يطلب منه اقامة الخطبة له ، فأقر به وبعث اليه بخلع السلطنة الكاملة(٢). وافق الخليفة العباسى المسترشد بالله فى السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م بتنصيب سنجر سلطانا أعظم للسلاجقة واقامة الخطبة باسمه بعد الخليفة فى كافة أقاليم الدولة السلجوقية(٣).

وبناء على ذلك اتسع نفوذه وسلطانه وشمل بالاضافة الى خراسان أكثر أقاليم ايران والعراق ، هذا وقد أكرم سنجر - بعد أن أصبح سلطانا أعظم

---

(١) انظر الفصل الأول من الرسالة .

(٢) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص٣٣ - محمود فهمى المهندس : البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ، ج٢ ، ص٤٩ .
ويرى ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص٤٨ - وفاضل الخالدى : الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق ، ص٢٠٥،٢٠٦ أن الخليفة العباسى المسترشد بالله أجابه الى طلبه باقامة الخطبة له .
ويرى الصدفى أن الخليفة المستظهر بالله خطب فى فترة خلافته لثلاثة سلاطين هم تاج الدولة تتش ابن ألب أرسلان ، والسلطان بركيارق والسلطان محمد بن ملكشاه .
انظر تاريخ دول الاسلام ، ج١ ، ص١٥٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٢٨٨ - ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائى ، لايدن ، ١٩٧٣م ، ص٢١١ - الراوندى : راحة الصدور ، ص٢٦٠ - سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٦٥٧ - المقريزى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ج١ ، ص٣٤

للدولة السلجوقية ـ أبناء أخيه محمد فوزع عليهم حكم مدن وأقاليم ايران والعراق . فجعل للملك طغرل بن محمد ساوه وآمره (١)، وسارق (٢)، وسامان (٣)، وقزوين (٤)، وأبهر (٥)، وزنجان ، وكيلان (٦)، والديلم (٧)، والطالقان (٨). وللملك سلجوق شاه بلاد فارس كلها وسلمها اليه ولأتابكه

---

(١) آوه : بالقرب من مدينة ساوه وأهلها شيعة امامية ، وبينهما فرسخين .
انظر صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوى ، ج٢ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ، ج٢ ، ص٦٨٦ .

(٢) سارق : لم أجد بهذا اللفظ وانما وجدتها بلفظ "ساروق" وهى اسم لمدينة همذان ، وأساسها سارو فعربت ، وقيل ساروق .
انظر البغدادى : مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٦٨٢ .

(٣) سامان : من محال أصبهان ، وهناك سامان أخرى بنواحى سمرقند .
انظر محمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ، ص٣٠٠ .

(٤) قزوين : مدينة تقع باقليم الجبال على نحو مائة فرسخ شمال غربى طهران ، أرضها خصبة ، أهلها أشداء ، ظلت زاهرة فى القرون الوسطى الى أن دخلها المغول وخربوها فى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى ـ السابع عشر الميلادى .
انظر البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٧٦٢ ـ كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٥٣-٢٥٦ .

(٥) أبهر : بلد بين قزوين وزنجان ، من قزوين اليها اثنا عشر فرسخا ، ومنها الى زنجان خمسة عشر فرسخا .
انظر محمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ، ص٧ .

(٦) كيلان : هو عبارة عن اقليم تحف به من الجنوب والغرب سفوح الجبال المتدرجة المكسوة بالغابات ، وقد سماه العرب (الجيل أو جيلان) وبه عدة مدن .
انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٠٦-٢٠٩ .

(٧) الديلم : تقع جنوب غرب اقليم كيلان مما يحاذى جبال الطالقان وتارم . وقد جاء اسمها بصيغة الجمع فأطلق عليها الديلمان ، وكانت موطن بنى بويه (الديالمة) وكان لهم نفوذ على الخلافة العباسية فى بغداد آنذاك .
انظر كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٢٠٧ .

(٨) الطالقان : مدينة فى خراسان تقع بين جبلين عظيمين وهى على جبل متصل بجبل الجوزجان ومرو الروذ وبناؤها بالطين .
انظر محمد عبد المنعم الحميرى : المرجع السابق ، ص٣٨٠ .

قراجا الساقى ، وأضاف اليها بعض بلاد أصفهان . وأخذ أولاد السلطان محمد يتصرفون فى الأمور باشراف وأوامر عمهم السلطان سنجر(١).

وفى سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م قصد السلطان سنجر الرى وبرفقته مسعود وطغرل لعزل شيركير(٢)أتابك طغرل عن الأتابكة وولاها للأمير قراسنقر(٣) وأقر له بلاد آرانيه(٤).

وفى سنة ٥٢٤هـ/١١٣٣م وقع بين أرسلان خان والقارغليه(٥)من الترك خلاف كبير جعلهم يعلنون العصيان عليه ، فاستنجد بالسلطان سنجر فعبر نهر جيحون بجنوده ووصل الى سمرقند وهرب القارغليه من بين يديه(٦).

وفى سنة ٥٢٤هـ/١١٣٣م أصاب محمد خان الفالج وجعل ابنه نصر خان على سمرقند ، واتفق انسان علوى ففيه بيده الحل والعقد والحكم فى سمرقند مع رئيس البلد على قتل نصر خان وقتلاه ليلا ، وكان أبوه محمد خان غائبا عن المدينة فاستدعى ابنا له من بلاد التركستان ، وحينما قارب وصول سمرقند خرج لاستقباله كل من العلوى ورئيس البلدة، فماكان من ابن محمد خان الا أن قام بقتل العلوى وقبض على رئيس البلدة . وفى ذلك الوقت راسل محمد خان السلطان سنجر ظانا منه أن ابنه لن يستطيع التغلب على

---

(١) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٧٩،١٨٠ .

(٢) شيركير : هو الأمير أنوشتكين المعروف بشيركير . ابنه عمر وهو أمير وحاجب السلطان محمود ، ثم قام السلطان بقتلهما معا فى جمادى الآخرة سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣١م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٣٣ ـ الحسينى : المصدر السابق ص١٩٤ .

(٣) الأمير قراسنقر : عين أتابكا لطغرل سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م .
انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٩٤ .

(٤) الحسينى : المصدر السابق ، ص١٨٠،١٨٤،١٩٣-١٩٧،٣١٦ .

(٥) هم طائفة من الترك. انظر ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٩٦ . وذكر ابن الأثير انهم كانوا جنودا لدى أرسلان خان ملك ماوراء النهر . انظر الكامل فى التاريخ ج٩ ، ص٢ .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٢،٣ .

العلوى والرئيس ، فأجابه سنجر وسار الى سمرقند ، وحينما علم محمد خان أن ابنه ظفر بالعلوى والرئيس ، أرسل الى السلطان سنجر مرة أخرى يطلب منه العودة الى خراسان ، فغضب سنجر ، وأقام فيها أياما ، وبينما هو فى الصيد اذ رأى اثنى عشر رجلا مسلحين فقبض عليهم وأقروا بأن محمد خان أرسلهم ليقتلوا السلطان سنجر فجهز جيشه فى هذه السنة وسار به لقمع التمرد الذى قام به محمد خان .

- وذكر البعض (١) أنه صحب معه علاء الدين اتسز - فوصل الى مدينة سمرقند وحاصرها أربعة أشهر واستولى عليها ، ومن ثم عفا عن محمد خان بعد أن سيره أسيرا الى خراسان - كانت هذه الواقعة أول حرب للسلطان سنجر فى بلاد ماوراء النهر (٢).

وقد أقام السلطان سنجر مدة بسمرقند حيث أخذ المال والسلاح والخزائن ثم ولى عليها الأمير قلج طغماج وهو أبو المعالى الحسن بن على المعروف بحسين تكين (٣) وهو من أعيان بيت الخانية ، وبعدها عاد السلطان الى خراسان .

وبعد أن مات حسين تكين ولى السلطان سنجر على سمرقند محمود بن محمد خان (ابن أخته وهو ابن السلطان أرسلان) ملكا عليها (٤).

---

(١) نافع توفيق العبود : الدولة الخوارزمية ، مطبعة الجامعة ، بغداد ١٩٧٨م ، ص٤٤ .

(٢) القلقشندى : مآثر الاناقة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فرج ، الكويت ، ١٩٦٤م ، ج٢ ، ص٢٢، ٣٠ - أرمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ترجمة أحمد حمود الساداتى ، راجعه يحيى خشاب ، القاهرة ، ص١٤٢ .

(٣) ذكر ابن الأثير أن قلج طغماج تربطه قرابة بالسلطان سنجر ابن أخته ، وقد أطاحه أرسلان خان بعد أن كان من أعيان بيت الخانية .
انظر الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣ - الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٨٣ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٣٠، ٣٣١ - العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩١١ ، مصور ميكروفيلم بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى رقم ١١٦٧، ١١٨٠ تاريخ ، ج١٢ ، ورقة٩ - ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧ .

ومن هنا تبين أن السلطان سنجر استطاع أن يعيد بسط نفوذه وسلطانه على أراضى ماوراء النهر بعد العملية العسكرية الناجحة التى خاضها ضد محمد خان .

ويعتبر السلطان سنجر من السلاطين السلاجقة الذى أبدى اهتماما خاصا بمجريات الأمور فى بلاد ماوراء النهر ، فكان يضطر دائما للذهاب الى أقاليم ماوراء النهر للتأكد من استقرار سلطنته على هذه الأقاليم .

وفى سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م سار السلطان سنجر وتبعه الملك طغرل بن محمد من همذان الى نهاوند ، وقرر مسعود بن محمد والخليفة العباسى المسترشد بالله قتال السلطان سنجر ، وسار مسعود وأخوه سلجوق شاه ومعهما قراجا الساقى لقتال السلطان سنجر وتخلف عن المسير معهم الخليفة العباسى المسترشد بالله - كعادة الخلفاء العباسيين فى موقفهم من سلاطين السلاجقة - والتقى العسكران عند الدينور(١) فى الثامن من رجب من نفس السنة ، وكان طغرل بن محمد وقماج وأمير أميران على ميمنته السلطان سنجر وعلى ميسرته خوارزم شاه أتسز وجمع من الأمراء ، وكان على ميمنة مسعود بن محمد قراجا الساقى وعلى ميسرته يوسف جاويش ، فحملت ميسرة مسعود بن محمد على ميمنة السلطان سنجر وفيها طغرل بن محمد فهزمهما ، وعاد طغرل الى جانب عمه السلطان سنجر ، وحمل قراجا الساقى على القلب وفيه السلطان سنجر ، وثبت سنجر مع عسكره واشتد القتال بين الفريقين وجرح قراجا الساقى وأخذ أسيرا، وقتل يوسف جاويش ، وانهزم مسعود بن محمد ، وأمر السلطان سنجر بقتل قراجا الساقى ، وعاتب مسعود بن محمد على عصيانه وأعاده الى كنجه وعاد سنجر الى خراسان بعد أن أجلس طغرل ابن محمد بن ملكشاه فى السلطنة وأسند اليه ولاية العهد وجعله نائبا عنه

---

(١) الدينور : مدينة من كور الجبل مابين الموصل وأذربيجان وهى فى قبلة همذان ، اشتهرت بكثرة الثمار والزروع والبساتين والمياه ، واشتهر أهلها بالكرم والعلم منهم ابن قتيبة الدينورى ، وأبو حنيفة الدينورى .
انظر محمد عبد المنعم الحميرى :الروض المعطار ، ص٢٤٩ .

وخطب له فى جميع البلاد(١).

وفى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٨م سار السلطان سنجر من خراسان الى غزنة وكان سبب ذلك أن بهرام شاه - صاحب غزنة - ظلم أهلها واغتصب أموالها وتنكر فى ولائه لسنجر . ولما قارب السلطان سنجر غزنة أرسل بهرام شاه الى سنجر الرسل يطلب منه العفو على ماارتكبه من ذنب ، فأجابه السلطان سنجر بالعفو والصفح عنه بشرط أن يحضر عنده ويدخل فى طاعته . وعندما قارب بهرام شاه معسكر السلطان سنجر تملكه الخوف وولى هاربا ، فسار سنجر الى غزنة وملكها واحتوى على جميع مافيها ، وكتب الى بهرام شاه يلومه على مافعله ، وأن كل مايريده منه هو اصلاحه ورده الى ولائه وطاعته . ورد بهرام شاه على السلطان سنجر يخبره أن الخوف هو الذى دفعه الى الهرب ، ولالوم على من خاف من السلطان ، وطلب منه العفو والصفح فأجابه سنجر الى ذلك وأعاد اليه غزنة واستقر ملك غزنة لصاحبها بهرام شاه وغادر السلطان سنجر غزنة عائدا الى بلاده فوصل الى بلخ سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٩م(٢).

وأمر السلطان سنجر بجمع الضرائب من مدن العراق وجميع البلاد التى بسط نفوذه عليها ، وأصبح يلقب "بالسلطان الأعظم" سلطان جميع الممالك السلجوقية ، وامتد نفوذه الى سائر البلاد حتى يقال ان الخطبة له وصلت الى كاشغر وأقصى بلاد اليمن ومكة والطائف ومكران(٣) وعمان

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٣٦، ٣٣٧ - اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص١١٦ - الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٩٨، ١٩٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٤٩ - الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٨٤ - العينى : عقد الجمان ، ج١٢ ، ورقة ٢٧ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج٤ ، ص١٦٤ .

(٣) مكران : وهو اقليم يقع فى شرق فارس بايران ، أراضيه خصبة ، يشمل عدة مدن منها قصرقند ، بم بور ، جالك .
انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٩، ٣٦٠ .

وأذربيجان وغزنة ، وسمرقند ، وخراسان ، وطبرستان ، وكرمان ، وسجستان ، وأصفهان ، وهمذان ، والرى ، وآرنيه ، وآرمينية ، وبغداد ، والعراقين ، والموصل ، وديار بكر ، وديار ربيعة(١)، والشام ، والحرمين ، كما كانت تضرب له السكة فى هذه الأقاليم جميعها ، وأصبحت جميع هذه البلدان تخضع لنفوذ السلطان سنجر ، ويطأ بساطه ملوك هذه البلدان .

ويعتبر السلطان سنجر آخر السلاجقة العظام لأنه استطاع أن يعيد للدولة السلجوقية هيبتها ووحدتها ، وأن يجعل كل أجزائها خاضعة لأمر سلطان واحد ، وأعاد بذلك عصر السلاجقة العظام(٢).

---

(١) ديار ربيعة : تقع فى اقليم الجزيرة بالعراق ، شرق ديار مضر . تتكون من الأراضى التى تقع فى شرق الخابور (الكبير) المنحدر من رأس العين من الأراضى التى تقع فى شرق الهرماس وأشهر مدنها مدينة الموصل التى تعتبر قاعدة لها ، وتقع على ضفة دجلة الغربية .
انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١١٤-١١٥ .

(٢) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٨٠، ١٨٤ ـ البزدوى : العراضة فى الحكاية السلجوقيه ص٩٦ ـ الراوندى : راحة الصدور ، ص٢٦٠ ـ حسن أحمد محمود ، وآخر . العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص٦١٠، ٦١١ .

(ج) تدخل السلطان سنجر فى النزاعات بين السلاطين السلاجقة فى العراق ثم بينهم وبين الخلفاء العباسيين .

obeikandl.com

كثرت النزاعات وظهرت الفتن بين سلاطين السلاجقة فى العراق أبناء السلطان محمد بن ملكشاه ، وكذلك فيما بينهم وبين الخلفاء العباسيين ، وكان للسلطان سنجر دور كبير فى التدخل فى تلك النزاعات واخماد الفتن وقمعها والقضاء عليها لاقرار الأوضاع واستتباب الأمن فى أجزاء الدولة السلجوقية(١).

فبعد أن تولى السلطان محمود بن محمد أمر السلطنة جعل أخاه مسعود على الموصل مع أتابكه جيوش بك(٢)، وفى سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م دب النزاع بين الأخوين وخرج مسعود عن طاعة السلطان محمود ، وكان سبب ذلك أن دبيس بن صدقة(٣)،

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، سلاجقة ايران والعراق ، ص١٠٣،١١٩ حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص٦١٧ - توماس أرنولد : الخلافة ، ترجمة جميل معلى ، دار اليقظة العربية ، ص٤٣ .،

(٢) هو : أى أبه جيوش بك، تركى الأصل ، اتابك السلطان مسعود بن محمد ، ومن مماليك السلطان محمد ، كان عادلا حسن السيرة ، فى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م توجه مع السلطان مسعود الى العراق لقتال البرسقى ودبيس ، عندما تولى امارة الموصل والجزيرة ، قام بقتال الأكراد حيث كثر فسادهم فأمنت الطرق وانتشرت الطمأنينة بين الناس ، خرج على السلطان محمود ، ثم عاد الى خدمته ، فرضى عنه وأقطعه أذربيجان وجعله قائدا لجيشه ، ثم حدث بينه وبين جماعة من الأمراء منازعات ، فأغروا به السلطان فقام بقتله على باب تبريز فى رمضان سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م . انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٢٨٢،٣٠٩ .

(٣) هو : دبيس بن صدقة بن على بن مزيد صاحب الحلة . أسره سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م تاج الملوك صاحب دمشق فسمع الخبر عماد الدين زنكى وطلب منه تسليمه دبيس غير أنه امتنع ، فسار الى دمشق وحاصرها وخربها فأجابه وأرسله فأيقن دبيس بالهلاك من عماد الدين زنكى الا أنه خلاف ماظنه فأحسن اليه وحمل له الأقوات والسلاح والدواب ، وقدمه حتى على نفسه ، ولم يزل دبيس مع عماد الدين زنكى حتى رافقه الى العراق وتقابلا مع جيش الخليفة المسترشد فانهزما منه ثم عاد دبيس الى الحلة سنة ٥٢٦هـ/١١٣٤م .
قتله السلطان مسعود سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى حيث أمر غلاما أرمنيا بقتله فوقف على رأسه وهو ينكت الأرض بأصبعه فضرب رقبته وهو لايشعر وكان ابنه صدقة بالحلة .
=

صاحب الحلة(١)، كاتب الأمير جيوش بك أتابك مسعود وأغراه بالعصيان على السلطان محمود ، ووعده بطلب السلطنة لمسعود ، وشرع جيوش بك فى جمع العسكر وبلغ ذلك الخبر للسلطان محمود ، فأرسل اليه والى أخيه مسعود ووعدهما الاحسان والصفح ان عادا الى طاعته ويتهددهما ان أصرا على معصيته ، ولم يستجيبا للسلطان محمود وواصلا عصيانهما له . وسار كل من جيوش بك ومسعود نحو السلطان محمود والتقى الجمعان عند أسدأباد(٢) وسير محمود الى السلطان سنجر أبو سعد الهروى(٣) يفيده ويخبره بما استجد على الساحة من النزاع بينه وبين أخيه مسعود . وقد أسفر اللقاء عن هزيمة جيش مسعود وجيوش بك ، وأسر أبو اسماعيل الحسين بن على الطغرائى(٤)

= انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٣٣،٣٣٧،٣٤٩ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٢٦٣-٢٦٥ - خير الدين الزركلى : الأعلام ، ج١٠ ، ص٤٦ .

(١) الحلة : هى مدينة كبيرة تقع بين الكوفة وبغداد على شط نهر الفرات .
انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص١٩٧ .

(٢) أسد أباد : مدينة تقع غرب همذان بايران ، آهلة بالسكان ، بها جامع وقصر السلطان وأسواق تجارية ، اشتهرت بكثرة الخيرات والعسل ، يسقط عليها فى الشتاء ثلج كثير حيث يخزن ويحمل الى الأهواز وغيرها لبيعه فيها صيفا .
انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٣١،٢٨٠ .

(٣) أبو سعد الهروى : هو القاضى أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى . ذهب الى خراسان حاملا رسالة من الخليفة العباسى الى السلطان سنجر ، وكانت له مكانة مرموقة فى الدولة السلجوقية لما يتمتع به من أخلاق حميدة ، قام بقتله الباطنية بهمذان بعدما عاد من خراسان سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣١٩ .

(٤) أبو اسماعيل الحسين بن على الطغرائى : هو عميد الدولة مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن على بن محمد بن عبد الصمد الطغرائى ، يقال عنه فخر الكتاب ، كان بارزا فى كتابة الانشاء ولامعا فى الشعر وبناءا على ذلك فقد لقب بالأستاذ ، اشتهر بقصيدة لامية العجم قيل انه اتهم بالالحاد ، فقتل سنة ٥١٥هـ/١١٢١م .
انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٩٢ - سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج٢ ص٧٠٨ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص١٨٥-١٩٠ .

وزيره مسعود ، الذى قتله السلطان محمود . ثم أرسل مسعود الى أخيه السلطان محمود يطلب منه الأمان والصفح ، وجاء اليه وتعانقا وتصافا ، وأرسل السلطان محمود الى السلطان سنجر يخبر بما فعل مع أخيه مسعود ، فما كان من السلطان سنجر الا أن سعد بتصافى الأخوين وانهاء الخلاف والنزاع بينهما(١).

وكان بين دبيس بن صدقة بن على بن مزيد ملك العرب وصاحب الحلة وبين الخليفة العباسى المسترشد بالله نزاع مما جعل الخليفة العباسى يشكو منه لكل من السلطان سنجر والسلطان محمود ، ومن ثم أبعد عن العراق(٢).

وفى سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م كانت البداية الفعلية للنزاع بين الخلافة العباسية والدولة السلجوقية عندما لجأ دبيس بن صدقة الى طغرل بن محمد حيث حسن له الاستيلاء على العراق وطلب السلطنة ، فاستجاب طغرل لاغراء دبيس له فسار الاثنان على رأس جيش كبير الى بغداد لقتال الخليفة المسترشد بالله والسلطان محمود بن محمد ، وكان سبب مسيرة دبيس بن صدقة لحرب الخليفة مابينهما من نزاع وخلاف ، بينما كان هدف طغرل هو انتزاع لقب السلطان من أخيه محمود بن محمد . وحينما بلغ الخليفة بأن طغرل ودبيس بن صدقة أعدا جيشا لقتاله ، أعد هو الآخر جيشا وخرج لصدهما الا أن طغرل مرض فجأة ومن ثم لم يشترك فى الحرب ضد الخليفة المسترشد بالله . وتقابل جيش الخليفة مع جيش دبيس بن صدقة ، الا أن دبيسا طلب العفو من الخليفة وقبل الأرض بين يدى الخليفة ، مما جعل الخليفة يصفح عنه .

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٧٠٢،٧٠٣،٧٠٤ ـ ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل ، ص٢٢،٢٣ ـ الذهبى : دول الاسلام ، ج٢ ، ص٤١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٠٧ .

ومن هنا يتبين أن خضوع دبيس بن صدقة وطلب العفو من الخليفة العباسى المسترشد بالله كان بمثابة هزيمة لدبيس وانتصارا للخليفة .

ثم لحق دبيس بن صدقة بطغرل بن محمد وسارا الى خراسان قاصدين السلطان سنجر شاكين له الخليفة المسترشد بالله ، وهما فى طريقهما الى خراسان مرا بمدينة همذان فعاثا فيها الفساد ، ونهبا الأموال وظلما أهلها . فلما علم بخبرهما السلطان محمود بن محمد جد فى السير اليهما وتحارب معهما وانتهى الأمر بهزيمتهما ، وبعدها واصلا السير الى خراسان حيث تقابلا مع السلطان سنجر فما كان من السلطان سنجر الا أن قبض على دبيس بن صدقة (١).

كما اضطربت الأحوال بين الخليفة العباسى المسترشد بالله والسلطان محمود ، وكان سبب هذا الاضطراب بينهما أن الخليفة هدد الشحنة (٢) برنقش الزكوى (٣) لما حدث من نزاع بينه وبين نواب الخليفة ، فاضطر الى مغادرة

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣١٨ - ابن الجوزى : المنتظم ، ج٩ ، ص٢٥٢،٢٥٣ - الذهبى : دول الاسلام ، ج٢ ، ص٤٤ - ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص٥٣ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص١٩٤،١٩٥ .

(٢) لفظة عربية من شحن بمعنى ملأ ، وقد استخدمت أيضا للدلالة على الرابطة من الخيل فى البلد لضبط أهله ، ثم استخدمت للدلالة على الوظيفة فى الدولة الاسلامية ، وكان الشحنة يمثل مندوب الحاكم (خليفة أم سلطانا) يعين على المدن التابعة له وكانت مهمته مراقبة القوى المعارضة وصدها ، والدفاع عن المدينة والحفاظ على الأمن ، ويقوم بجمع المكوس والأموال ، ويرأس شرطة المدينة ، وينضم تحت لوائه عدد من الجند يتبعون العسكر العام ، وبعض الأحيان يتولى امارة المدينة .
انظر حسن باشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج٢ ، ص٦٢٣

(٣) برنقش الزكوى : هو الأمير سعد الدولة برنقش الزكوى من عظماء وأكابر الدولة تولى امارة أصفهان بالاضافة الى شحنة بالعراق ، توفى سنة ٥٤٠هـ/١١٤٦م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص١١ - البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٧٨ .
بينما ورد ذكره فى مصدر آخر بلفظ بيرنقش البازدار . انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢١٢ .

بغداد خوفا من أن يصيبه أذى فلحق بالسلطان محمود الذى أغراه بالخليفة فى رجب سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م ، وحذره من الخليفة وأخبره أنه يعد العدة ضده ليمنعه من دخول بغداد ، فلما علم الخليفة بذلك أرسل اليه يطلب منه تأجيل خروجه الى حين اصلاح البلاد على أثر ماسببه دبيس وجيشه من فساد وكثرة الغلاء ، ثم استعد الخليفة لارسال المال على شرط أن يتأخر فى القدوم الى بغداد . فما كان جواب السلطان أن نفذ ماقرره له الزكوى ، وصمم العزم على التوجه الى بغداد ، ونزل بباب الشماسية(١).

فلما بلغ الخبر الخليفة العباسى المسترشد بالله عبر مع أهله الى الجانب الغربى راحلا من بغداد فى ذى القعدة ، وظهر الحزن على وجوه الناس اثر مغادرته ، فطلب السلطان منه العودة ، فأجابه الخليفة على شرط رحيله عن بغداد ، فغضب السلطان لقوله وتوجه الى بغداد وبقى الخليفة بالجانب الغربى.

وكان لخطبته فى عيد الأضحى أثر كبير فى نفوس الناس طبع عليهم طابع الحزن مما هم فيه ، ويبدو أن خطبة الخليفة أوعزت اليهم بالاستعداد لدخول الحرب مع السلطان محمود . ثم أرسل الخليفة عفيفا الخادم(٢)أحد خواصه الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان ، فوصلها ونزل بالجانب الغربى وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر(٣)بالجانب الشرقى ، فأرسل عماد الدين زنكى الى عفيف يطلب منه الرحيل فرفض ، فعبر اليه عماد الدين وحدث

---

(١) الشماسية : تقع خارج بغداد وينسب اليها باب الشماسية أحد أبواب بغداد . انظر محمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، ص٣٤٥ .

(٢) عفيف الخادم : لم أقف على ترجمة له .

(٣) هو : عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة آقسنقر ، ولد سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٤م اشتهر بالشجاعة والبطولة ، أسس الدولة الأتابكية فى الموصل سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م ، عين نائبا للعراق ، انتصر فى حروبه مع الصليبيين ، وكان له دور كبير فى السياسة مع الخلفاء العباسيين وسلاطين الدولة السلجوقية ، قام بقتله مملوكه عند حصار قلعة جعبر على ضفة الفرات بين بالس والرقة فى ربيع الآخر سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م . انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٠٩ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٣٢٧-٣٢٩ .

القتال بينهما وانهزم عسكر عفيف وقتل منهم عدد كبير بالاضافة الى الأسرى.

وسبب الهزيمة يبدو ظاهرا حيث أن عفيفا لم يكن معه العدد الوافر من الجند ولاالعتاد الكافى لخوض المعركة ، اذا قارنا ذلك بما مع عماد الدين زنكى حيث كان يعلم بأنه سوف يخوض معركة مما جعله يوفر العدد اللازم من الجند والعتاد الكافى لذلك ، بالاضافة الى قرب واسط من البصرة وتزويده بما يحتاج .

وقد نجا عفيف من القتل ، ويقال ان عماد الدين تغافل عنه لمودة تربط بينهما(١).

ودخل جماعة من عسكر السلطان محمود فى دار الخلافة فى أول محرم سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م ونهبوا التاج وحجر الخليفة ، وخرج عليهم عسكر الخليفة العباسى المسترشد بالله من مخابئهم وهم منشغلون بالنهب ، ونالوا من عسكر السلطان محمود وأسروا جماعة من الأمراء وقتل آخرون فى الطرق(٢).

ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقى ومعه ثلاثون ألف مقاتل ، وخوفا من تسلل جيش السلطان محمود الى بغداد ، أمر الخليفة الجند بحفر خندق حول بغداد فسارعوا بتنفيذ ذلك ليلا . وعندما وصل جيش السلطان صعب عليه دخول بغداد ، مما أدى الى حدوث قتال بين الجيشين ، وكاد جيش الخليفة أن ينتصر لولا أن غدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردى(٣) صاحب اربل وانضم الى جيش السلطان ، ولعل الذى دفعه الى هذا اعتقاده بكثرة جيش السلطان محمود وخاصة بعد وصول الامدادات العسكرية البرية والبحرية برفقة عماد الدين زنكى . هذا الموقف جعل الخليفة يفكر جديا فى الأمر وخاصة بعد أن أرسل السلطان رسلا بعرض الصلح عليه ، وكان

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٢١ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) أبو الهيجاء الكردى : لم أقف على ترجمة له .

السلطان يهدف من وراء ذلك رضاء الخليفة لما يتمتع به من مكانة دينية عند الناس وتفانيهم فى سبيله . وترددت الرسل بينهما ، ثم تم الصلح بينهما فى العاشر من ربيع الآخر من نفس السنة . وعفا السلطان محمود عن أهل بغداد وأهداه الخليفة المسترشد بالله مالا وخيلا وسلاحا . ونظرا للمواقف السامية التى وقفها عماد الدين زنكى مع السلطان محمود ، قام السلطان بالتشاور مع رجال دولته باضافة ولاية العراق اليه ، فلقى تأييدا منهم على ذلك(١).

ثم رحل السلطان محمود الى همذان ، وفى طريقه اليها قبض على وزيره أبى القاسم على بن القاسم(٢) حيث اتهمه بميله الى المسترشد بالله نظرا لكثرة سعيه فى الصلح بينهما ، واستوزر بدلا منه شرف الدولة أنوشروان بن خالد(٣).

ولما جاء السلطان سنجر الى الرى أعاد الوزير أبا القاسم الى وزارة السلطان محمود فى أواخر سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م(٤).

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٢٢ .

(٢) هو : أبو القاسم على بن القاسم الانسابادى ، سجنه السلطان محمود بن محمد لاتهامه بميله الى الخليفة المسترشد بالله ، ثم جاء السلطان سنجر ، وأمر باطلاقه من حبسه وارجاعه الوزارة ثانية ، قام بقتله السلطان مسعود بن محمد أثناء محاربة أخيه طغرل فى رمضان سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م .
انظر ابن الأثير :الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٢٣،٣٢٧،٣٤٠ .

(٣) هو : شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد الكاشانى ، عين وزيرا للخليفة المسترشد بالله ثم للسلطان محمود ، ثم للسلطان محمد ، اتصف بالشهامة والتدين ، قام بعمل المقامات الحريرية ، يقال أن مذهبه شيعى وتوفى فى صفر سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م ، وحضر جنازته وزير الخليفة ودفن فى داره ، ثم نقل الى الكوفة فدفن فى مشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .
انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٦٥ - البندارى : دولة آل سلجوق ص١٠٤ - خير الدين الزركلى : الأعلام ، ج٦ ، ص٢٠١ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٢٧ - ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص٥٤،٥٥ .

وقد أثار دبيس بن صدقة السلطان سنجر على كل من الخليفة العباسى المسترشد بالله والسلطان محمود وأخبره بأنهما اتفقا على ابعاده وأن السلطان محمود خرج على طاعته ، مما أثار نفس سنجر عليه .

وهنا يتضح مدى الحقد فى نفس دبيس على الخليفة وهذا يرجع الى سوء علاقته بالخليفة ، وقد استطاع أن يؤثر على السلطان سنجر مما دفعه الى أن سير جيشا الى العراق سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م ، ولما وصل الى الرى أرسل فى طلب السلطان محمود .

وهنا يأتى دور الحنكة السياسية التى كان يتصف بها سنجر ، بالاضافة الى العلاقة القوية التى تربطه بالسلطان محمود ، حيث انه ابن أخيه وزوج ابنته وكذلك تأثير والدة سنجر (جدة محمود) عليه ، كل هذا جعله يستدعى السلطان محمود من همذان كى يتثبت مما أخبره به دبيس بن صدقة وتأكد سنجر أن السلطان محمود مازال على طاعته وأجلسه معه على التخت وأقام محمود عند السلطان سنجر حتى آخر هذه السنة ، وهنا يتبادر الى الذهن تساؤل لماذا لم يقم السلطان سنجر بمعاقبة دبيس على زعمه الباطل؟ أعتقد أن دبيس كان له دور سياسى بارز فى الوقوف بجانب السلطان سنجر ضد معارضيه ، لذلك لم يعاقبه على مافعله معه .

وبعد ذلك عاد سنجر الى خراسان وأوصى محمودا باعادة دبيس الى بلده وأن يسأل الخليفة الصفح عنه ، ثم عاد محمود الى همذان ومعه دبيس ثم سار الى بغداد فى محرم سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م ، وأعاد دبيسا الى بلده واسترضى الخليفة فرضى عنه وطلب منه الصفح فصفح عنه(١) مقابل بذل مائة ألف دينار نظرا لرغبة السلطان محمود فى انتقال ولاية الموصل من عماد الدين زنكى الى دبيس بن صدقة تقديرا لاهتمام عمه سنجر به كما لايستبعد

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٢٨، ٣٣٢ - ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٢٨٨، ٢٨٩ - ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج٢ ، ص٣٠، ٦٠ - الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج٤ ، ص٥٠ .

أن يكون وراء ذلك زوجته لأنها كانت تعتنى بدبيس وتدافع عنه ، مما دفع الأول الى الحضور سريعا بنفسه مصطحبا معه الهدايا والأموال للسلطان ، ونزل عنده ثلاثة أيام ، فما كان منه الا أن أعاد امارة الموصل له ، وبقى السلطان محمود فى بغداد الى الرابع من جمادى الآخرة من نفس السنة ثم رحل الى همذان ، ثم توفيت زوجته (الخاتون) سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م ويبدو أنه كان لها دور بارز فى تسيير أموره اذ جاءت وفاتها كارثة على دبيس حيث فقد المكانة التى كان يتمتع بها عند السلطان ، وساءت العلاقة بينهما وحاول دبيس أن يسترضى السلطان والخليفة المسترشد بالله الا أن محاولته تلك باءت بالفشل ، فأرسل السلطان من يتعقبه لاحضاره له ، وعندما علم بذلك رحل الى البرية . وفى ذى الحجة من نفس السنة غادر السلطان مسعود ابن محمد خراسان ـ حيث كان عند عمه السلطان سنجر ـ فوصل ساوه ويقال قد عزم على معارضة أخيه السلطان محمود بدافع من عمه الا أن السلطان محمود استطاع أن يتقى غضب أخيه ويكرمه بأن سلمه امارة مدينة كنجه ، ولعل هذا ماكان يخطط له السلطان سنجر ليقضى على النزاعات بين أبناء أخيه محمد .

ولما مرض السلطان محمود عين ابنه داود فى السلطنة ، ثم توفى السلطان محمود فى شوال سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م ، وخطب لابنه داود فى بلاد الجبل وآذربيجان ، وعلى أثرها وقعت الفتنة على طلب السلطنة بينه وبين اخوته مسعود وسلجوق شاه ، وحدثت بينهم مناوشات كثيرة على أمل أن يحظى كل منهم بأمور السلطنة(١).

ومن هذه المناوشات التى دارت بينهم أن مسعود كان بكنجه ولما علم بموت أخيه سار الى تبريز(٢)فملكها ، وسار اليه أخوه داود فحاصره بها ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٣٣،٣٣٦،٣٣٧ ـ التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، ص٤٢-٤٥ ـ ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج٢ ،ص٦٠ ـ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج٤ ، ص٦٧ .

(٢) تبريز : مدينة تقع فى اقليم آذربيجان لها شهرة تاريخية ، أراضيها خصبة حيث بها نهران ، الأول : مهران رود ، والثانى : سردرو . كثيرة الخيرات من فواكه وحبوب وغيرها .
انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٩٥-١٩٧ .

ثم خرج منها قاصدا شهـروز(١)وهـى بلاد الأمير قفجاق بن أرسلان تاش التركمانى(٢).

وفى سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م سار مسعود الى بغداد ، وقد سبق سلجوق شاه ومعه قراجا الساقى الى بغداد طلبا للسلطنة ، واستنجد مسعود بعماد الدين زنكى فأجابه وسار من الموصل الى بغداد والتقى بمسعود بتكريت ، وسار قراجا الساقى بجيش كبير الى تكريت والتقى بعماد الدين زنكى حيث كان النصر حليف قراجا الساقى ، ثم رجع عماد الدين زنكى الى الموصل بينما رجع قراجا الى بغداد .

ووصل السلطان سنجر الى همذان ومعه جيش كبير وكان برفقته طغرل بن محمد(٣)ليرتب له أمور السلطنة، وأرسل الخليفة العباسى المسترشد بالله الى مسعود ليتوقف عما بينه وبين أخيه سلجوق شاه من منازعات ، اضافة الى الاتفاق بين الأخوين لقتال عمهما السلطان سنجر ، وبالفعل استقر الصلح بينهما على أن تكون السلطنة لمسعود وولاية العهد لسلجوق شاه وبذلك قطعت خطبة السلطان سنجر من العراق كله ، وسارا الى قتاله ، والتقى الجمعان قرب الدانيور ، ولم يبادر مسعود بالهجوم انتظارا لقدوم

---

(١) شهروز : مدينة تقع فى اقليم الجبال شمال غرب الدينور ، ذكر أنها كانت حصينة ويسكنها الأكراد ، يطلق عليها الفرس (نيم راه) بها آثار الساسانيين .
انظر كى لسترنج :المرجع السابق ، ص٢٢٥،٢٢٦ .

(٢) قفجاق بن أرسلان تاش التركمانى : هو زعيم القبيلة التركية الايوائية أحد فروع الغز ، مؤسس الامارة الكركوية التركمانية ، قام عماد الدين زنكى سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م بحملة ضدهم فهزمهم واستولى على اقطاعاتهم ، بعدها أصبح الايوائيون فى خدمة الزنكيين .
انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٩٥ - أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج١ ، ص٣٣ .

(٣) طغرل بن محمد : ولد فى محرم سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م وقد اشتهر بالعدل بين الرعية محسنا لهم عاقلا ، خرج لمقاتلة أخيه مسعود فقال للناس : ادعوا بخيرنا للمسلمين وفى هذه الأثناء جاءته الوفاة وكان ذلك فى محرم سنة ٥٢٩هـ/٣٤-١١٣٥م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٤٥ .

الخليفة المسترشد بالله لمساندته حسب وعده له الا أن الخليفة غربه وجعله يلاقى ويلات القتال وحده ، وهذا ليس بالغريب فقد كان الخليفة يقف دائمًا مع القوى من السلاطين السلاجقة خوفا على مركزه .

وكان يساند سنجر على ميمنته طغرل بن محمد وقماج وأمير الأميران وعلى ميسرته خوارزمشاه علاء الدين أتسز بن محمد مع جمع من الأمراء ، وأما مسعود فكان يسانده على ميمنته قراجا الساقى والأمير قزل ، وعلى ميسرته برنقش بازدار ويوسف جاووش وغيرهما ودارت الحرب بين الطرفين ، وكاد الأمير قزل أن يلحق الهزيمة بسنجر حيث هجم قراجا الساقى بعشرة آلاف فارس على جيش السلطان سنجر ، فرجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى الوراء خطة منهم ، فصار قراجا الساقى فى الوسط فقاتل الى أن جرح وقتل عدد كبير من جنوده ، فانهزم مسعود بن محمد وأسر قراجا الساقى وأمر السلطان سنجر بقتله ، ثم عفا عن مسعود وأعاده الى كنجه وأجلس طغرل بن أخيه محمد على سلطنة بغداد وخطب له فى جميع البلاد ثم عاد الى خراسان (١). ويظهر لنا جليا حلم السلطان سنجر وتعاطفه على أبناء أخيه ورغبته فى توليهم مناصب فى الدولة السلجوقية، رغما من خيانة بعضهم له .

وفى رمضان سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م وقعت الحرب بين السلطان طغرل بن محمد وبين أخيه داود ، والسبب فى ذلك أن السلطان سنجر أجلس طغرل بن محمد على السلطنة ثم عاد الى خراسان ، وفى عودته الى خراسان عصى داود ابن محمود عمه السلطان طغرل حيث جمع العسكر وسار الى همذان ونزل عند قرية يقال لها وهان بالقرب من همذان . والتقى العسكران وانهزم عسكر داود ، وأسر الأمير برنقش الزكوى الذى كان على ميمنة داود وفدى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٣٣،٣٣٦،٣٣٧ - التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، ص٤٢-٤٥ - ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج٢ ، ص٦٠ - الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج٤ ، ص٦٧ .

نفسه بسبعين ألف دينار ، وبعد أن انهزم داود سار الى بغداد وأكرمه الخليفة المسترشد بالله وأنزله بدار السلطنة(١). فلما علم بذلك السلطان مسعود قدم فى سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م الى بغداد أيضا واستقبله الملك داود بن أخيه محمود وأنزله بدار السلطنة ، فأكرمهما الخليفة وخلع عليهما فخطب لمسعود ثم لداود من بعده ، بعد ذلك عقدوا اتفاقا على قتال طغرل فجمعوا حشدا كبيرا من العسكر وأرسل الخليفة معهم جنودا لمساعدتهم فقاد السلطان مسعود الجيش كله وسار الى آذربيجان فاشتبك مع أمرائها ودار قتال شديد هزموا فيه وقتل منهم أعدادا كبيرة ، ثم توجه الى همذان لمقاتلة أخيه الملك طغرل فلما علم بذلك خرج الى لقائه ، وتقابل الجيشان فى معركة طاحنة ، انهزم فيها طغرل ، وبذلك نجح مسعود فى الاستيلاء على أمور السلطنة .

ولم يكتف مسعود بذلك بل تبع أخاه من موضع الى موضع حتى وصل الى الرى ، وحدث بينهما قتال للمرة الثانية ، وحلت الهزيمة بطغرل مرة أخرى وأسر جامعة من أمرائه ثم رجع السلطان مسعود الى همذان(٢).

وفى سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م وصل السلطان مسعود خبر تمرد ابن أخيه داود ابن محمود بأذربيجان فجهز جيشا وتوجه اليه وحاصره بقلعة رونزروكان(٣) فتحصن بها الملك داود ، وبينما كان السلطان مسعود مشغولا بذلك قام الملك طغرل باستغلال انشغال أخيه مسعود ، فاستمال بعض قواده وأمرائه وأغراهم بما يرغبون ، فتوجه بجنده نحو مسعود ووقع القتال بينهما مما أدى ذلك الى الحاق الهزيمة بمسعود فهرب فى أواخر رمضان وطلب من الخليفة المسترشد بالله الاذن له بدخول بغداد فسمح له بذلك ، وكان الملك سلجوق

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٣٨ ـ العينى : عقد الجمان ، ج١٢ ، ورقة ١٥ ـ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٩٩،٢٠٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٣٩،٣٤٠ ـ أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص٧ .

(٣) رونزروكان : تقع باقليم آذربيجان .
انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٤٢ .

شاه بأصفهان فلما علم بهزيمة مسعود توجه هو أيضا الى بغداد ونزل بدار السلطنة فأكرمهما الخليفة ، واستولى طغرل على همذان(١).

وفى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م استعد الخليفة بتزويد السلطان مسعود بما يحتاج اليه من عسكر وعتاد ووعده بالسير معه لمقاتلة أخيه الملك طغرل . وفى هذه الأثناء اتصل بعض الأمراء بالخليفة المسترشد بالله وطلبوا الانضمام اليه فرحب بهم الا أن الأقدار شاءت فتحولت الى عداء . والسبب فى ذلك رجل قبض عليه فوجد معه رسائل من طغرل الى هؤلاء الأمراء بالاقطاع لهم ، فغضب الخليفة ، وقبض على أحدهم فجرده من ماله ، فلما وصل النبأ للآخرين هربوا وانضموا الى عسكر السلطان مسعود ، فأرسل اليه الخليفة يطلب اعادتهم ، فلم يلب طلبه فساءت العلاقة بينهما مما أدت الى تأخر سيرهما الى همذان ، واشتدت مرسالات الاحتجاج بينهما . وبينما الحال كذلك توفى الملك طغرل فى محرم من هذه السنة فكان الحظ حليفا لمسعود حيث استولى على همذان ومن ثم أصبح مسعود سلطانا لسلاجقة العراق(٢). الا أن الأوضاع لم تهدأ للسلطان مسعود والسبب يرجع الى أن الأمراء أصدقاء الأمس أصبحوا أعداء اليوم ، حيث طلبوا من الخليفة المسترشد بالله الأمان والصفح عما بدر منهم والانضمام اليه فقبل منهم ، وكان برفقتهم الأمير دبيس بن صدقة ، وكانوا يعزمون تسليمه الى الخليفة ، فلما علم بذلك هرب الى السلطان مسعود ، ووصلوا الى بغداد فى رجب من هذه السنة فأكرمهم الخليفة . ثم بدأ الأمراء يحرضون الخليفة على محاربة مسعود فقطعت خطبته من بغداد ، فعزم الخليفة على السير الى قتاله فى العشرين من رجب ، ثم تريث ثم سار فى شعبان ، وقد بلغ جيشه نحو سبعة آلاف فارس وتخلف فى العراق ثلاثة آلاف للدفاع عنها خوفا من هجوم أعوان السلطان مسعود ، وكان بهمذان وعدد جيشه نحو ألف وخمسمائة فارس ، وكان معظم الولاه

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٤٢،٣٤٣ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٤٥ .

يراسلون الخليفة ويبذلون له الطاعة ، فما كان من السلطان مسعود الا أن استخدم السياسة معهم فأعاد أكثر الولاة اليه فصار جيشه نحو خمسة آلاف فارس ، بالاضافة الى تسلل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى أصبح خمسة آلاف ، وقد حاول البعض ارسال نجدات لمساعدة الخليفة الا أنها لم تلحق به لأنه كان فى طريقه نحو السلطان مسعود ، وتقابل الجيشان بدايرج (١) فى العاشر من رمضان من هذه السنة ، فانضمت ميسرة الخليفة الى السلطان مسعود ، واقتتلت ميمنة الخليفة وميسرة السلطان قتالا خفيفا انتهى بهزيمة عسكر الخليفة وتم أسر المسترشد بالله ومعه جمع كثير من أصحابه منهم الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى (٢)، وقاضى القضاة (٣)، وصاحب المخزن ابن طلحة (٤)،

---

(١) دايمرج : مدينة قرب همذان .
انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٠٨ .

(٢) شرف الدين على بن طراد الزينبى : هو على بن طراد بن محمد بن على الزينبى الهاشمى ، ولد سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م ، يلقب بأبى القاسم شرف الدين ، برع فى سياسة الملك وتدبيره ، فولاه المستظهر بالله نقابة النقباء ، فلقب بالرضى ذى الفخرين ، ثم استوزره الخليفة المسترشد بالله ، يقال أنه لم يوزر للخلفاء العباسيين هاشمى غيره ، ثم وزر للخليفة المقتفى لأمر الله فاعترض على الخليفة فى أمر مما أدى الى حدوث خلاف بينهما ، فاستقال سنة ٥٣٤هـ/١١٤٠م ولزم بيته الى أن توفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٤م .
انظر ابن طقطقا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٣٠٥ - خير الدين الزركلى : الأعلام ، ج٤ ، ص٢٩٦ .

(٣) قاضى القضاة : هو أبو القاسم على بن الحسين الزينبى ، تولى القضاء فى عهد الخليفة المسترشد بالله ، والخليفة الراشد ، ثم المقتفى لأمر الله ، وقد توفى فى عهده أى قبل عام ٥٥٥هـ/١١٦١م .
انظر ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ص٢٢١، ٢٢٣، ٢٣١ .

(٤) ابن طلحة : أبو الفتوح ، لم أقف على ترجمة له .

وابن الأنبارى (١). فأنزل الخليفة فى خيمة منفردة والباقون فى قلعة سرجهان (٢)، ويقال إن فى هذه المعركة لم يقتل أحد ، ثم عاد السلطان الى همذان وأرسل أحد الأمراء رسولا الى بغداد فاستولى على جميع أملاك الخليفة مما أثار عامة الناس ضده ، فحدث قتال بين العامة وأصحاب الشحنة فقتل من العامة مايزيد على مائة وخمسين قتيلا وهرب البعض . أما السلطان مسعود فتوجه الى مراغة (٣)ونزل على فرسخين منها ومعه المسترشد بالله لقتال ابن أخيه الملك داود بن محمود حيث قد تمرد عليه ، وكانت الرسل تتردد بين الخليفة والسلطان مسعود فى تثبيت قواعد الصلح وهى أن يقوم الخليفة بدفع المال للسلطان ، وألا يكون جيشا ، وألا يخرج من داره .

ونرى هنا أن السلطان استطاع أن يفرض شروطه على الخليفة لما كان له من هيمنة وسيطرة على البلاد وأهلها ، وقد تتدخل السلطان سنجر عندما علم بأسر الخليفة المسترشد بالله ، فطلب من السلطان مسعود أن يعيد الخليفة الى مقره ببغداد معززا مكرما ، فخضع مسعود لأوامر عمه السلطان سنجر (٤)

---

(١) ابن الأنبارى : هو سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن الأنبارى تولى منصب كتابة الانشاء فى دار الخلافة لخمسة خلفاء وكثير من السلاطين منذ سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م ، كان يقرض الشعر ، عاش حتى قارب التسعين عاما ، توفى فى ١٩ رجب ٥٥٨هـ/١١٦٤م .
انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٧٣ - الزركلى : الأعلام ، ج٧ ، ص٤٢ .

(٢) سرجهان : وتقع قلعة سرجهان المبنية فوق حلة الجبل فى نصف الطريق صاين قلعة والسلطانية وتبعد عن الأخيرة بخمسة فراسخ ، وتشرف على السهول الواسعة وتمتد شرقا الى أبهر وقزوين ووصفها البعض بأنها من أحصن القلاع وأحكمها .
انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٠٧ - كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٥٨ .

(٣) مراغة : من أشهر مدن بلاد أذربيجان ، فيها أشجار السرو العظيمة .
انظر البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٧٧٧ - كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٣٢١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٤٧،٣٤٨ - الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٠٨،٢٠٩ - القلقشندى : مآثر الانافة ، ج٢ ، ص٢٦ .
Claude-Cahcn, Pre-Ottoman-Turkey, London, 1966, p.46

وبعد عودته الى بغداد قتل على يد أحد فدائى الاسماعيلية(١)، وتولى ابنه الخليفة العباسى الراشد بالله من عام ٥٢٩هـ حتى عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٥-١١٣٨م أمور الخلافة.

وفى سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م أرسل السلطان مسعود برنقش الزكوى الى الخليفة الراشد بالله يطلب منه دفع المبلغ المتفق عليه مع والده على أساس الصلح الذى تم معه فرد طلبه وأخبره بأن الأموال التى كانت مع أبيه قد نهبت ، فاتفق برنقش مع شحنة بغداد فى استخدام القوة وذلك بالهجوم على دار الخلافة يوم الجمعة وأخذ المال عنوة ، فلما بلغ الراشد بالله ماخططوا عليه ، استعد لهم فجمع عسكره واستطاع أن يصدهم ويبعدهم عن بغداد ، ولعل هذا الأمر جعل معظم أمراء البلاد يجتمعون على الخروج من طاعة السلطان مسعود والاستعداد لحربه ، فتوجه الملك داود بن محمود بجيشه من آذربيجان الى بغداد فوصلها فى الرابع من صفر من نفس السنة ثم تلاه أتابك عماد الدين زنكى وبرنقش بازدار(٢)صاحب قزوين ، والبقش الكبير(٣)صاحب أصفهان ، وصدقة بن دبيس وغيرهم .

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج٢ ، ص٦٢ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، صححه الأب انطوان صالانى اليسوعى ، دار الرائد اللبنانى ، ص٣٥٤ - الحسينى : المصدر السابق ، ص٢٠٨،٢٠٩ .

(٢) برنقش بازدان : هو مظفر الدين سعد الدولة برنقش البازدار ، تولى امارة قزوين توفى قبل عام ٥٤١هـ/١١٤٤م .
انظر الأصفهانى : خريدة القصر وجريدة العصر ، ج١ ، ص٢١٤ - الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٢٢ .

(٣) البقش الكبير : فى سنة ٥٣١هـ/١١٣٤م ، تقدم الى السلطان مسعود مع جماعة من الأمراء لطلب الرضى منه والاعتذار عما بدر منهم فى حربهم ضده عندما كانوا برفقة الملك داود ، فرضى عنهم وأمنهم ، وولى البقش شحنكية بغداد ، فعسف الناس وظلمهم ، وعاملهم معاملة سيئة ، وفى سنة ٥٣٢هـ/١١٣٥م سار سلجوق شاه ابن محمد الى بغداد فخرج اليه البقش وحدث قتال بينهما ، مما أثار العيارين ببغداد ونهبوا الأموال وقتلوا الرجال ، فرجع اليهم البقش وقتل منهم وصلب مما جعل معظم الناس يرحلون عن بغداد ، ولما اشتكى الناس من كثرة

وقد قام الملك داود باضافة شحنكية بغداد الى برنقش مما شجع الخليفة الراشد بالله الى أن يقوم بعزل بعض رجال دولته لما لمسه من سوء نيتهم له وقد تدخل بعض الأمراء للشفاعة عن بعضهم فقبل الخليفة وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود ، ثم وصل الملك ساجوق شاه الى واسط ، وحث الجميع على الاستعداد لمواجهة السلطان مسعود . ثم وصلت الأخبار الى الخليفة الراشد بالله بتوجه السلطان مسعود نحو بغداد فأرسل فى الخامس من رمضان من هذه السنة الى الملك داود وسائر الأمراء يأمرهم بالعودة الى بغداد ، وبالفعل استجاب الجميع لنداء الخليفة ـ هذا يفيدنا بأن الأمراء غادروا بغداد بعد حضورهم فى المرة الأولى ـ وتعاهدوا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد الأمر الذى جعل السلطان يبذل قصارى جهده فى كسب ود الخليفة فبعث رسالة اليه وفى نفس الوقت يهدد الأمراء المجتمعين معه فعرض الخليفة الرسالة عليهم مما زادهم عزما على قتاله وأيدهم الخليفة فى ذلك(١).

وعندما علم السلطان مسعود أن محاولاته فى التقرب من الخليفة باءت بالفشل جمع جنده وتوجه بهم الى بغداد فحاصرها وعاثوا فيها فسادا ونهبا وقتلا ، واستمر حصارهم لها قرابة نيفا وخمسين يوما فلم يستطع أن يظفر بهم فقرر العودة الى النهروان(٢)، ومنها الى همذان . وبينما هو كذلك اذ

= ظلمه وتعسفه أمر السلطان مسعود بالقبض عليه وارساله الى تكريت ليسجن فيها عند مجاهد الدين بهروز ، ثم أمر بقتله ، وعندما علم بذلك ألقى بنفسه فى دجلة فغرق فأخذ برأسه الى السلطان فى سنة ٥٣٢هـ/١١٣٥م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٥٦،٣٦١،٣٦٣ .

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٥٢ .

(٢) النهروان : نهر طوله مائتا ميل يقع فى شرق دجلة يبدأ من أسفل تكريت وينتهى فى دجلة على نحو من خمسين ميلا من شمال واسط وكان يسقى مافى الجانب الأبعد من دجلة أى جهة ايران .
انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٨١،٤٧-٨٥ .

وصل طرنطاى (١) صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فرفع ذلك من معنويات السلطان ، فاستخدم السفن فى العبور بها نهر دجلة . وأراد الجيش البغدادى صده الا أنهم فشلوا فعبر وكان فشلهم بمثابة بداية خلافهم - أقصد الأمراء والخليفة - فتفرقت كلمتهم بعد أن دب النزاع بينهم . وعلى أثر ذلك رجع الملك داود الى بلاده فى ذى القعدة من هذه السنة وتفرق الأمراء الآخرين ، حيث اصطحب عماد الدين زنكى الخليفة وسارا الى الموصل ، فلما وصل الخبر الى السلطان مسعود بمغادرة الخليفة وعماد الدين زنكى بغداد توجه اليها فى منتصف ذى القعدة ونشر الأمن فيها ، وسعى فى خلع الخليفة الراشد بالله من خلافته ، فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التى حلف بها له وفيها بخط يده : "انى متى جندت أخرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الأمر"(٢) فأفتوا بخروجه من الخلافة .

وقد مضى الراشد بالله والأتابك عماد الدين زنكى الى الموصل ، ووصل السلطان مسعود الى بغداد ، ومنها أرسل رسولا الى عماد الدين زنكى . وخشى الخليفة الراشد بالله أن يتم الصلح بين عماد الدين زنكى

---

(١) طرنطاى : واسمه طرنطاى المحمودى ، صاحب شحنة واسط وقد استاء مع مجموعة من الأمراء من السلطان مسعود بن محمد لميله الى خاصبك ، وقد توجه مع الأمراء بعساكرهم الى بغداد فوصلوها فى ربيع الآخر سنة ٥٤٣هـ/١١٤٦م ولكن أهل بغداد صدوهم فى البداية وقتل فيها بعد خلق كثير .
انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٢٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٥٤ . وورد النص عند محمد مسفر الزهرانى بلفظ : (أننى متى جمعت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الأمر) . انظر : نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية ، ص١٤٢ . نقله عن : ابن الجوزى : المنتظم ، ج١٠ ، ص٦٠ - ابن العبرى : مختصر الدول ، ص٣٥٦ - ابن خلدون : العبر ، ج٣ ، ص٥١١-٥١٢ . ويرى محمد مسفر الزهرانى أن هذا الخطاب المنسوب الى الخليفة الراشد بالله كان مزورا . انظر المرجع السابق ، ص١٤٣ .

والسلطان مسعود ومن ثم يتم تسليمه اليه فخرج من الموصل قاصدا السلطان سنجر بخراسان ، بينما اجتمع السلطان مسعود فى بغداد بكبار رجال الدولة والفقهاء ، وبايعوا المقتفى لأمر الله . ووصل الخبر الى الراشد بالله حيث كان بدامغان فكتب الى السلطان سنجر كتابا اشتكى فيه من السلطان مسعود وطلب منه أن ينصره ويعاونه وذلك فى العشر الأول من رمضان سنة ٥٣١هـ/١١٣٧م ، فرد عليه سنجر فى العشرين من رمضان من نفس السنة ومضمون رده أنه لم يجبه الى طلبه ، فتيقن الراشد بالله أن السلطان لن يلبى طلبه .

وخرج الراشد بالله من دامغان طالبا الثأر ، حيث وصل الى أصفهان وملكها ، الا أنه مالبث أن قتل على يد فدائيي الاسماعيلية فى أصفهان فى رمضان من سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م(١).

وفى شعبان من سنة ٥٤٣هـ/١١٤٩م توجه السلطان سنجر نحو الرى لقتال السلطان مسعود ، وسبب ذلك ماساد فى عهد مسعود من فوضى وقلاقل واستيلاء خاص بك بن بلنكرى(٢)على أمر السلطان مسعود ، وأرسل الى السلطان مسعود يأمره بابعاد خاص بك بلنكرى والا فانه سيقصده ويبعده عن السلطنة ، ولم ينفذ السلطان مسعود أوامر السلطان سنجر ، وهذا مما جعل السلطان سنجر يجهز حملة ويتجه بها نحو الرى لقتال السلطان مسعود.

ولما علم السلطان مسعود بوصول السلطان سنجر الى الرى سار اليه ليسترضيه كى يصفح عنه لما بدر منه ، فأكرمه السلطان سنجر ورضى عنه ،

---

(١) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٠٨،١٠٩ .

(٢) خاص بك بن بلنكرى : هو بك أرسلان خاصبك بن بلنكرى وكلمة بلنك أصلها (فارسى) تعنى النمر الأرقط وكلمة آرى أصلها (تركى) تعنى نحلة ، كان من غلمان السلطان مسعود بن محمد .
الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢١٩ .

وكان اجتماعهما فى سنة ٥٤٤هـ/١١٥٠م(١).

وفى شهر رجب من نفس السنة قصد بغداد ملكشاه بن محمود(٢)ومعه كثير من الأمراء اضافة الى على بن دبيس(٣)وجماعة من التركمان وطلبوا من الخليفة المقتفى لأمر الله سنة ٥٤٤هـ/١١٥٠م أن يخطب له ، فامتنع الخليفة عن ذلك ، وأرسل الخليفة الى السلطان مسعود يطلب منه القدوم اليه ويستحثه على ذلك ، فلم يجب السلطان مسعود الى ماطلبه الخليفة ، وهنا تدخل السلطان سنجر بأن أرسل الى ابن أخيه السلطان مسعود ويتوعده ان لم يسرع الى الخليفة وينقذ الموقف ، فجاء السلطان مسعود الى الخليفة المقتفى لأمر الله فى أواخر السنة وبذلك انتهت تلك الشرور وتحولت الى سرور(٤).

ومن هنا يتبين أن الحقد الذى استشرى بين أبناء الأسرة الواحدة - السلجوقية - بسبب النزاع على السلطة تحول الى عداوة ووصل الحد الى القتال أكثر من مرة بين الاخوة ، ومن ثم تلاشت الروابط الأسرية .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٢٢ - الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٢٧،٢٢٨ - أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٧٥ .

(٢) هو : ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، ملك خوزستان سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م . مات مسموما بأصفهان سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م .
انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٧١ .

(٣) هو : الأمير على بن دبيس بن صدقة ، صاحب الحلة بأسد أباد ، اتهم طبيبه بالتقصير فى علاجه ، توفى سنة ٥٤٥هـ/١١٥١م .
انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٢٩ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص٦٩ - ابن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ ، ج١٢ ، ص٢٢٥ .